

المحور التاريخي: التطور التاريخي للظاهرة الدولية.

المحاضرة الأولى: العلاقات الدولية ما قبل الحديثة- الجزء الأول-

محاضرة مقدمة لطلبة السنة الثانية علوم سياسية.

د. آمنة عيساوة.

السنة الجامعية: 2025-2026.

تقديم

- لا يمكن أن نحدد تاريخاً دقيقاً لبدء العلاقات الدولية في فترة ما قبل الحداثة، لكن بتخمين بسيط وافترض منطقياً نجد أن العلاقات الدولية بدأت تنشأ مع تشكل الجماعات البشرية المتجاورة فيما بينها والذي نتج عنه عدة احتياجات استدعت إقامة علاقات لحلها سواء بطرق سلمية أو عنيفة.

الاشكالية المركزية للمحور التاريخي.

• متى ولماذا وكيف اكتسب حقل العلاقات الدولية في تطوره بنيته الغربية؟

تساؤلات فرعية.

- إذا سلمنا للطرح الأكاديمي الغربي السائد بأنّ معاهدة وستفاليا عام 1648 هي تاريخ محدد لبداية الظاهرة الدولية الحديثة، ما هو شكل الظاهرة الدولية قبل هذا التاريخ؟
- ما نوع التفاعلات والفواعل وأجندة القضايا التي سادت وشكلت العلاقات الدولية في الحقبة ما قبل الحديثة؟
- ما هو منطق وسياسات الوحدات السياسية القديمة اتجاه بعضها البعض؟
- ما الجديد الذي جاءت به معاهدة وستفاليا وميز لاحقا العلاقات الدولية فاتسمت بصفة الحديثة؟

العلاقات الدولية كظاهرة.

- علاقات تنشأ بين مجموعة من الكيانات السياسية (جماعات، قبائل، دول-مدن، إمبراطوريات) تربط بينها تفاعلات تتميز بقدر من التواتر ووفق نوع من الانتظام.

هولستي (Holsti)

• بناء على طرح هولستي السابق، سبق وأن أكدنا في إطار مقارنة مجال بحث العلاقات الدولية عن مجال التاريخ الدولي، أن الباحث في العلاقات الدولية يدرس الظواهر **الأكثر تكرارا** ما يمكن أن نطلق عليه **الأنماط** ، واتقفنا أن العلاقات الدولية تدرس على ثلاث محاور أساسية:

- 1- **التفاعلات** وهي نوعان: **صراعية** ، و**تعاونية**.
- 2- **الفواعل**: اختلفت وتطورت من فترة تاريخية إلى أخرى من حيث **طبيعتها ومنطقها** في التعامل الخارجي.
- 3- **أجندة القضايا**: وهي المواضيع الأكثر بروزا في فترة تاريخية دون أخرى.

إقليمية الجماعات البشرية في ما قبل الحداثة.

- ارتبط تطور إقليمية المجتمعات الإنسانية القديمة بتحديد جماعة لاقليم معين والاستلاء عليه للاستفادة من ثرواته وتحقيق الاستقرار عليه في ظل سلطة غالبا ما تكون مطلقة.

نتج عن هذا وجود منطق الصراع ومنه ظهرت أنماط متكررة منها:

- أولاً: منطق الدفاع عن الأرض في حالة هجوم جماعة أخرى رغبة في الاستلاء على الأرض او الثروات.
- ثانياً: منطق الهجوم، رغبة في التوسع بحثاً عن أراضي خصبة، أو طرق بحرية، أو توسيعاً للأرض نتيجة زيادة السكان، والتي غالباً ما تؤدي الزيادة فيهم إلى زيادة عدد المقاتلين.
- ثالثاً: منطق الأمجاد والبطولات خاصة في ظل سيادة حكم مطلق يجمع بين الدين والسياسة، فالحاكم إما إله أو ابن إله أو مفوض من الإله.

ومنطق التعاون وظهرت منه أنماط هي:

- الحاجة التي تنتج لدى جماعة لجماعة أخرى تقطن اقليما مقاربا ما يخلق نظام تبادل أو ما يعرف حديثا بالاعتماد المتبادل.
- الحاجة للدفاع المشترك ضد عدو مشترك.
- التوسع بغرض توحيد الأراضي تحت حكم واحد وبتنظيم واحد.

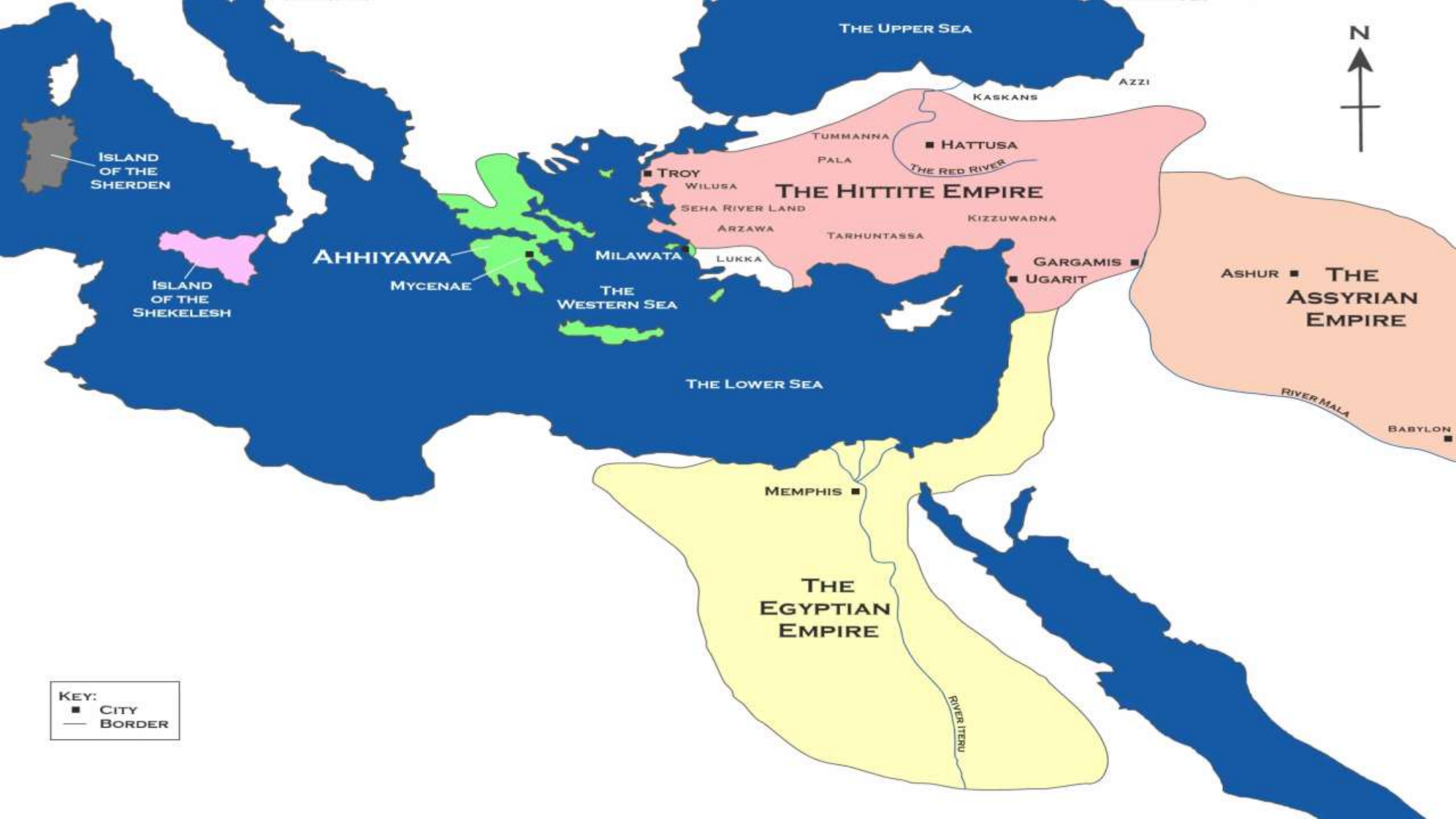
• العلاقات الدولية في الحضارات الشرقية القديمة.

• كانت السابقة التاريخية المهمة في العلاقات الدولية في العالم القديم هي المعاهدة التي أبرمت بين رمسيس الثاني فرعون مصر حكم في الفترة (1279-1213 ق.م) وملك الحثيين حاتوسيل الثالث لأجل إنهاء حالة الحرب بين المملكتين حملت شعار "السلام والأخوة إلى الأبد" سنة 1273 ق.م، وقد عرفت هذه المعاهدة باسم (معاهدة قادش) وقد وصفها المؤرخون بأنها أول معاهدة دولية من نوعها في تاريخ البشرية.

The Egyptian Empire

15th century BC

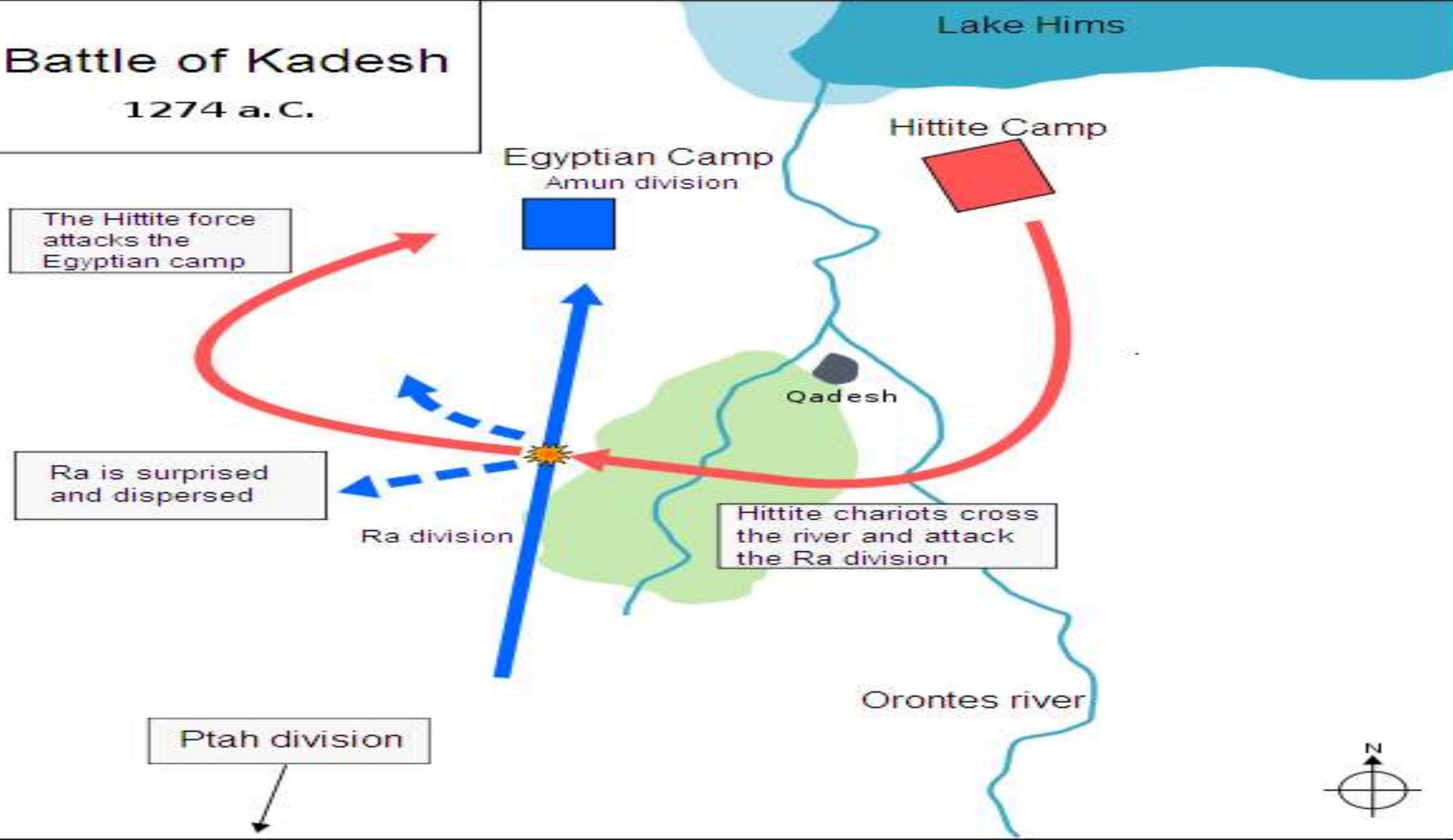




KEY:
■ CITY
— BORDER

Battle of Kadesh

1274 a.C.



مضمون معاهدة قادش.

- أهمية وجود المبعوثين والاعتراف بمركزهم الخاص.
- التأكيد على إقامة علاقات ودية وإشاعة السلام القائم على ضمان حرمة أراضي المملكتين.
- إقامة تحالف للدفاع المشترك.
- مبدأ رعاية الآلهة والمعابد.

- كما كشفت مجموعة رسائل تل العمارنة في مصر عن وجود علاقات دبلوماسية بين فراعنة مصر منذ حكم امينوفيس الرابع قبل الميلاد، كما كان لهم ممثلين دبلوماسيين يتمتعون بامتيازات خاصة.
- وأكد فقهاء القانون الدولي وجود اتفاقيات كانت تتم على أساس المساواة والمعاملة بالمثل، وكانت تقضي باحترام ما يتم التعاقد عليه.
- شملت موضوعات هذه الاتفاقيات: المبادلات التجارية والتحالفات الدفاعية أو الهجومية.

وبناء على ما سبق نستنتج أن:

- الإقليمية هي ارتباط الجماعة البشرية بأرض معينة في المقابل الاعتراف بالآخر الأجنبي عن طريق عقد الاتفاقات معه وفض الحروب.

العلاقات التجارية بين المدن الفينيقية.

- عُرِف الفينيقيون ببراعتهم في التبادلات التجارية وقد عقدوا العديد من الاتفاقات وجرت العديد من التفاعلات ذات النمط التعاوني بين المدن الأشهر: صور وصيدا وطرابلس...الخ.





• أنماط ومنطق العلاقات الدولية: عهد المدن-الدول اليونانية.

• خريطة مدن -الدول اليونانية.



العلاقات بين الدول- المدن الإغريقية.

- تجلت انجازات الفكر الإغريقي في دولة- المدينة في القرن السادس قبل الميلاد،
تميّز هذا النمط بقيام دويلات صغيرة في فضاء جغرافي وثقافي موحد ومنسجم
نتيجة لصلات الجنس واللغة والدين المشترك، والشيء الوحيد الذي يُعطي هذه
المدن طابع الدويلات هو استقلالها السياسي والاقتصادي.

• **فنظام دولة- المدينة الإغريقي** أوجد عشرات المدن المتجاورة ذات المصالح المشتركة أو المتصارعة.

النمط التعاوني:

- طور اليونانيون نظاما للاتصال الدبلوماسي، حيث عرفوا مبدأ التسوية بالتراضي أو المصالحة التي تشير إلى وقف الأعمال العدائية، كما تبنوا نظام الاتفاقات العننية والمعاهدات إلى جانب التحالفات والهدنة المقدسة التي تعقد فترة الألعاب الأولمبية.

وطور اليونانيون آليات دبلوماسية جديدة منها:

- الأخذ بالتحكيم ووجوب إعلان الحرب قبل الدخول فيها.
- برزت محاولات للتنظيم الدولي منها اتحاد Amphuctionies الذي يضم عدة مدن يونانية من أجل تنظيم المعابد الدينية.

• الحرب البلوبونزية.

- لا ينفي وجود علاقات تعاونية غياب الصراع والهيمنة فقد عرفت البلاد اليونانية عدة حروب أشهرها الحرب البلوبونزية بين أثينا واسبرطا والتي جاءت نتيجة رغبة أثينا في السيطرة والهيمنة.



Spartan Strategy:
Offensive on Land

Athenian Strategy:
Defend on Land
Offensive on Sea
Continue Foreign Trade

Athenian Empire and Allies
Spartan Confederacy

PELOPONNESIAN WAR

Alliances at the Start and
Contrasting Strategies,
431 B.C.



SCALE OF MILES
0 25 50 75 100



حوار ميلوس.

- أثينا: " عن أنفسنا لن نتعبدكم بادعاءات خادعة، إما حول حقنا بامبراطوريتنا لكوننا قمنا بطرد الفرس، أو أننا نقوم بمهاجمتكم لأخطاء قمتم بها اتجاهنا- ولن نقوم بخطاب طويل لن تقوموا بتصديقه بأية حال. ولكننا نرجو منكم ألا تقوموا بمحاولة اقناعنا بقولكم أنكم لم تقوموا بالاشتراك مع اسبرطا بالرغم من كونكم مستعمرين من أهلها، أو أنكم لم تقتربوا أي خطأ اتجاهنا، ونرجو أن تهدفوا لما هو ممكن آخذين بعين الاعتبار مواقفنا الحقيقية كفريقين. إذ تعرفون كما نعرف أن الحق، كما يقول الواقع، هو بين المتساوين في القوة، بينما ينتزع الأقوياء ما في وسعهم، يذعن الضعفاء كما عليهم".

• ميلوس: " كونوا على ثقة أننا مثلكم، نعي تماما الصعوبات الناتجة عن مجابهة قوتكم، إلا إذا كانت الشروط متساوية، ولكننا نثق أن الآلهة ستعطينا حظا كحظكم لأننا بشر نجابه الظلم، وأن ما نحتاجه من قوة سيأتي من حلفائنا مع اللاكونيين، المجبورون، حتى ولو خجلا، أن يأتوا لنجدة أقاربهم، ثقتنا، إذا ليست غير عقلانية بشكل كامل".

• أثينا: " بما نؤمن من الآلهة، وما نعرفه من البشر، هو أن هناك قانونا ملازما لطبيعتهم وهو أنهم يحكمون أينما باستطاعتهم، ونحن لسنا أول من جعل هذا القانون، أو عملنا به، وجدناه قبلنا، وسنتركه موجودا للأبد بعدنا، كل ما نفعله هو استخدامه، ونحن نعرف أن الجميع بما فيه أنتم، لو كان لديكم ما يوازي قوتنا لفعلتم كما نفعل نحن".

• مغزى القصة هو أن الصواب كما هو عليه العالم محط جدل بين المتكافئين في القوة، في حين يفعل الأقوياء ما تمكنهم قوتهم من فعله، يتحمل الضعفاء ما يمكنهم تحمله، وهكذا تتفوق القوة على العدالة.

الامبراطورية الرومانية.

• عمد الرومان في بداية عهدهم على عقد معاهدات مع مدن فينيقية ولاتينية وذلك لتأمين المبادلات التجارية وسلامة تنقل رعايا الأطراف المتعاقدة.

• ومع تعاظم قوة روما ووصولها للقوة العسكرية اتجهت إلى السيطرة والغطرسة في تعاملاتها الخارجية.

- كما اتجه الرومان للتوسع الاستعماري، واعتبر الرومان أن ما ينطبق عليهم لا ينطبق على الآخرين، وهذا هو الأساس الذي بني عليه قانون الشعوب (قانون المستعمرات).
- كانت أغلبية الشعوب المحيطة بالامبراطورية الرومانية إما مرتبطة مع روما باتفاقيات صداقة، وإما شعوب مغلوبة تم السيطرة على أراضيها.

النتائج:

- العلاقات الدولية ما قبل الحديثة ارتبطت بالاقليم والذي أفرز الحاجة للتعاون ومنه انبثقت الاتفاقيات والتبادلات التجارية والخوف ومنه الدفاع والهجوم.
- تعود بؤادر العلاقات الدولية ما قبل الحديثة إلى معاهدة قاديش بين الفراعنة والحثيين، وهي معاهدة سلام.
- عرفت المدن الفينيقية نمط تعاوني تجاري اقتصادي أكثر منه نمط صراعي.
- في حين امتزج التعاون والصراع مع نشأة الدول اليونانية ومع صعود الامبراطورية الرومانية ووصولها إلى القوة العسكرية التي دفعتها نحو الهيمنة، غلب الصراع على التعاون.

أسئلة نقاشية:

- حدد النمط التفاعلي الغالب على العلاقات الدولية ما قبل الحديثة؟ ولماذا؟
- كيف تقيم دور الفاعل المركزي في العلاقات الدولية ما قبل الحديثة على بروز نمط وغياب آخر؟